

قصة جنة الألفاف

بقلم

كامل كيداني

القصة الرابعة

عبد البري وعبد الحمري

مطبعة المغارف ومكتبتها بمصر

١ - عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ

كَانَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » رَجُلًا فَقِيرًا جِدًّا وَكَانَ لَهُ عَشْرَةُ أَوْلَادٍ يَسْعَى كُلُّ يَوْمٍ لِلْحُصُولِ عَلَى قُوَّتِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكْتِهِ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ وَيَبِيعُهُ ، ثُمَّ يَشْتَرِي - بِشَمْنِهِ - مَا يَقْتَاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلَادُهُ الْعَشْرَةُ وَزَوْجُهُ الْفَقِيرَةُ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ زَوْجُهُ ، فَحَزِنَ لِمَوْتِهَا أَشَدَّ الْحُزْنِ ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْحُزْنَ لَا يَنْفَعُ ، فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ وَصَبَرَ عَلَى قَضَائِهِ ، وَرَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ لَهُ .

وَذَهَبَ - فِي الْيَوْمِ الثَّانِي - مُبَكِّرًا إِلَى الْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى ابْنَتَهُ « أَمِينَةَ » بِإِخْوَتِهَا . وَكَانَتْ « أَمِينَةُ » بِنْتًا مُؤَدَّبَةً وَذَكِيَّةً ، فَعُنِيَتْ بِإِخْوَتِهَا خَيْرَ عِنَايَةٍ ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ - بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهَا - وَالِدَةٌ ثَانِيَةٌ تَغْمُرُهُمْ بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا وَتُوَاسِيهِمْ وَتَسْهَرُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ وَتَقُومُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

٢ - عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ «عَبْدُ اللَّهِ الصِّيَادُ» إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،
 أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَلَمْ يَرَ فِيهَا شَيْئًا مِنْ
 السَّمَكِ ، فَأَلْقَاهَا - فِي الْبَحْرِ - مَرَّةً ثَانِيَةً ثُمَّ أَخْرَجَهَا
 فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا سَمَكَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً ثَالِثَةً وَصَبَرَ
 عَلَيْهَا قَلِيلًا ، وَلَمَّا جَذَبَهَا وَجَدَهَا ثَقِيلَةً ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ
 وَظَنَّ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالسَّمَكِ ، وَلَكِنْ فَرَحَهُ لَمْ يَطُلْ ،
 فَقَدْ وَجَدَهَا - بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهَا مِنَ الْبَحْرِ - مَمْلُوءَةً
 بِالرَّمْلِ وَالْحَشَائِشِ وَالْوَحْلِ . فَرَمَى مَا فِيهَا وَنَظَّفَهَا
 وَغَسَلَهَا ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً أُخْرَى - وَهُوَ يَرْجُو أَنْ تَصْطَادَ
 شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ - وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَجَذَبَهَا
 فَرَأَاهَا ثَقِيلَةً جَدًّا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
 « لَا مُدَّةَ أَنْ شَبَكَتِي قَدْ أَمْتَلَأَتْ بِالسَّمَكِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ »
 ثُمَّ جَذَبَهَا - بِكُلِّ قُوَّتِهِ - حَتَّى أَخْرَجَهَا بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ
 فَرَأَى فِيهَا جَرَّةً مَمْلُوءَةً بِالطِّينِ وَالْحَصَى .

فَحَزَنَ «عَبْدُ اللَّهِ الصِّيَادُ» أَشَدَّ الْحُزْنِ ، وَتَأَلَّمَ لِسُوءِ بَخْتِهِ
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَعَلَّ الْفَرَجَ يَأْتِي بَعْدَ الشَّدَّةِ ، وَلَا بُدَّ
مِنَ الصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - لَنْ يَتْرُكَنِي
وَأَوْلَادِي بِلَا قُوَّةٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ أَرَ لَهُ شَبِيهَا طُولَ
مَعْمَرِي » ثُمَّ رَمَى الْجُرَّةَ ، وَنَظَّفَ شَبَكَّتَهُ وَغَسَلَهَا ،
وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَأَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ فَلَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا .
وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ وَيُلْقِي شَبَكَّتَهُ - مِنْ
غَيْرِ فَائِدَةٍ - حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْمَسَاءِ وَلَمْ يَصْطَدْ سَمَكَةً وَاحِدَةً .
فَسَارَ «عَبْدُ اللَّهِ الصِّيَادُ» فِي طَرِيقِهِ رَاجِعًا إِلَى الْبَيْتِ
وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مُحْزُونٌ لِمَا لَقِيَهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُنْحُوْسِ .

٣ - عَبْدُ اللَّهِ الْخُبَّازُ

وَمَا زَالَ «عَبْدُ اللَّهِ الصِّيَادُ» سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ - وَهُوَ
مُتَأَلِّمٌ مُحْزُونٌ - بِفِكْرِهِ فِي أَوْلَادِهِ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ فِي
الْبَيْتِ مِنَ الصَّبَاحِ - بِلَا طَعَامٍ - حَتَّى وَصَلَ إِلَى دُكَّانِ
خُبَّازٍ غَنِيٍّ مَشْهُورٍ اسْمُهُ «عَبْدُ اللَّهِ الْخُبَّازُ» فَرَأَى النَّاسَ

مُزِدَّ حَمِينَ عَلَى دُكَّانِهِ لِشِرَاءِ الْخُبْزِ وَرَأَى «عَبْدَ اللَّهِ الْخُبَّازَ»



مَشْغُولًا بِالتَّبِيعِ

وَكَانَ

عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ

جَائِعًا لَمْ يَذُقْ

طَعَامًا مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ، فَلَمَّا رَأَى الْخُبْزَ أَمَامَهُ - وَهُوَ

خَارِجٌ مِنَ الْفُرْنِ - أَشْتَهَتْهُ نَفْسُهُ، وَذَكَرَ أَوْلَادَهُ الْعَشْرَةَ

الْجَائِعِينَ، فَتَحَسَّرَ لِفَقْرِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ شِرَاءِ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ

وَلَكِنَّهُ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ، وَعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لَا مُبَدَّ آتِيهِ.

وَكَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الْخُبَّازُ» صَاحِبُ هَذَا الْفُرْنِ رَجُلًا

مُحْسِنًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، فَلَمَّا رَأَى «عَبْدَ اللَّهِ الصَّيَّادَ» وَاقِفًا

أَمَامَ دُكَّانِهِ مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا يَنْظُرُ إِلَى الْخُبْزِ بِلَهْفَةٍ وَحَسْرَةٍ

عَرَفَ أَنَّهُ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ جَائِعٌ، وَأَذْرَكَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْتَهِي

الْخُبْزَ، وَيَمْنَعُهُ الْخَجَلُ وَالْحَيَاءُ مِنَ السُّؤَالِ، فَنَادَاهُ بِرَفْقٍ

وَهُوَ يَبْتَسِمُ لَهُ: «مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الصَّيَّادُ، تَعَالِ إِلَى أَهْلِي

الرَّفِيقُ الْعَزِيزُ هَلُمُّ يَا صَاحِبِي فَخُذْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ «
فَسَكَتَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ
الْأَرْتَبَاكِ وَالْحَجَلِ ، وَلَمْ يَجْزُؤْ عَلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْخُبْزِ
لِأَنَّهُ كَانَ - عَلَى فَقْرِهِ - عَزِيزَ النَّفْسِ وَلَمْ يَتَعَوَّدِ السُّؤَالَ
فِي حَيَاتِهِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ « عَبْدُ اللَّهِ الْخُبَّازُ » - وَقَدْ أَدْرَكَ
مَا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ - : « لَا تَحْجَلْ يَا صَاحِبِي ، فَلَنْ أُطَالِبَكَ
الْآنَ بِشَيْءٍ مَا تَأْخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ . » فَتَشَجَّعَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ »
قَلِيلًا وَقَالَ لَهُ : « الْحَقُّ يَا سَيِّدِي أَنِّي خَجَلٌ مِنْكَ فَلَيْسَ
مَعِيَ نَقُودٌ أَشْتَرِي بِهَا مَا أحتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ فِي هَذَا الْيَوْمِ ،
فَإِذَا شِئْتَ أُعْطَيْتُكَ شَبَكَتِي لِتَكُونَ رَهْنًا عِنْدَكَ بِمَا
أَخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ لِأَطْفَالِ الْعَشْرَةِ الصَّغَارِ ، الَّذِينَ تَرَكَتَهُمْ
مِنَ الصَّبَاحِ بِلا طَعَامٍ حَتَّى يُيَسِّرَ لِي اللَّهُ فَأَعْطَيْتُكَ ثَمَنَ
مَا أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ . » فَرَادَ عَطْفُ الْخُبَّازِ وَتَأَثَّرَهُ . فَقَالَ
لَهُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا : « وَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى الْمَالِ إِذَا أَخَذْتَ
مِنْكَ شَبَكَتَكَ الَّتِي تَصْطَادُ بِهَا ؟ كَلَّا ، لَا تُثْقِلُ بِأَلْكِ يَا صَاحِبِي

بَشَى مِنْ ذَلِكَ، وَتَعَالَ فَخُذْ مَا تَشَاءُ مِنْ الْخُبْزِ ثُمَّ أَخْضَرَ
لِي بِشْمَنِهِ سَمَكًا مِمَّا تَصْطَادُ مَتَى يَسَّرَ اللَّهُ لَكَ .

وَلَمَّا رَأَى الْخُبَّازُ تَرَدُّدَ الصَّيَّادِ وَارْتِبَاكَهُ وَحَيَاةُ
أَعْطَاهُ مَا يَكْفِيهِ - هُوَ وَأَوْلَادُهُ الْعَشْرَةُ - مِنْ الْخُبْزِ،
وَقَالَ لَهُ: « خُذْ هَذِهِ النُّقُودَ يَا صَاحِبِي فَاشْتَرِ بِهَا لِأَوْلَادِكَ
الْعَشْرَةَ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْحَلَوَى . فَشَكَرَهُ
« عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » عَلَى كَرَمِهِ



وَمُرُوءَتِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ

لَهُ ، وَأَنْصَرَفَ

وَهُوَ فَرِحَانُ

وَأَشْشَرَى

لِأَوْلَادِهِ أَطِيبَ

الْمَأْكَلِ ، وَعَادَ

إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ تَبَدَّلَ

يَأْسُهُ أَمَلًا وَحُزْنُهُ سُرُورًا .

٤ - أَيَّامُ النَّحْسِ

وَفِي الْيَوْمِ الْتَالِيِ ذَهَبَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ » إِلَى الْبَحْرِ
وَوَظَلَ يُلْقِي شَبَكَتَهُ فِيهِ ثُمَّ يُخْرِجُهَا فَلَا يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا
مِنَ السَّمَكِ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ فَسَارَ فِي
طَرِيقِهِ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ دُكَانِ
« عَبْدِ اللَّهِ الْخُبَّازِ » أَسْرَعَ فِي سَيْرِهِ حَتَّى لَا يَرَاهُ ، وَلَكِنْ
الْخُبَّازَ رَأَاهُ - وَهُوَ يُسْرِعُ فِي خُطَاهُ - وَأَذْرَكَ أَنْ خَجَلَهُ
وَحَيَاءُهُ يَمْنَعَانِهِ مِنْ طَلَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ
وَالْمَالِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَنَادَاهُ : « تَعَالَ يَا صَاحِبِي الصَّيَادُ
فَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَأْخُذَ الْخُبْزَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ » فَعَادَ إِلَيْهِ الصَّيَادُ
وَهُوَ مُرْتَبِكٌ ، وَقَالَ لَهُ وَالْخَجَلُ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ :
« كَلَّا لَمْ أَشْءَ شَيْئًا يَا سَيِّدِي الْكَرِيمَ وَلَكِنَّ الْخَجَلَ
قَدْ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنِّي لَمْ أَصْطَدْ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ
فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَلِهَذَا لَمْ أُعْطِكَ مَا اقْتَرَضْتُهُ مِنَ الْمَالِ
وَلَا ثَمَنَ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ . »



وَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ وَيَدَاهُ مَمْلُوءَتَانِ
بِالْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ .

« ١٤ طر ص »

فَقَالَ لَهُ الْخُبَّازُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا: « لَا تُقْلِقْ بِأَلْكِ يَا أَخِي .
فَإِنِّي لَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ أَوْ السَّمَكِ إِلَّا إِذَا تَبَدَّلَ
عُسْرُكَ يُسْرًا ، وَإِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَلَّا تَخْجَلَ مِنْ
طَلَبِ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنِّي . » ثُمَّ أَعْطَاهُ مِنَ الْخُبْزِ ،
وَالْمَالِ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ . فَأَخَذَهُ الصَّيَّادُ
شَاكِرًا ، وَاشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَالْحُلُوى
وَالْفَاكِهَةِ . وَمَا زَالَ الصَّيَّادُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ
وَيُلْقِي فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ النَّهَارِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَضْطَّادَ شَيْئًا ،
فَيَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى دُكَّانِ الْخُبَّازِ . فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَالِ وَيَشْتَرِي لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتَاجُونَ
إِلَيْهِ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

هـ - بَيْنَ الصَّيَّادِ وَابْنَتِهِ

فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ جَلَسَ الصَّيَّادُ يُفَكِّرُ
فِيمَا لَقِيَهُ مِنَ الْكَسَادِ . فَحَزِنَ وَتَأَلَّمَ ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ
وَالْأَلَمِ ، فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ « أَمِينَةُ » - وَهِيَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ : -

« مِمَّ تَبِكِي يَا أَبَتِي ؟ » فَقَصَّ عَلَيْهَا قِصَّتَهُ كُلَّهَا . فَقَالَتْ لَهُ :
« وَهَلْ أَظْهَرَ لَكَ الْخُبَارُ شَيْئًا مِنَ النَّفُورِ أَوْ الْإِعْرَاضِ ؟
وَهَلْ آذَاكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَا أَبَتِي ؟ » فَقَالَ لَهَا الصَّيَادُ :
« كَلَّا يَا بِنْتِي الْعَزِيزَةَ ، بَلْ هُوَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ —
يَهْشُ لِي كُلَّمَا رَأَانِي وَيَتَسَمُّ مَتَرًا فَقًّا عَلَيَّ ، وَلِكِنِّي خَجَلٌ
جِدًّا لِأَنِّي لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمَّا اقْتَرَضْتُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ مَرَّتْ بِي
أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَمْ أَصْطَدْ فِيهَا سَمَكَةً وَاحِدَةً أَهْذِيهَا إِلَى هَذَا
الْخُبَارِ الْمُحْسِنِ الَّذِي غَمَّرَنِي بِكَرَمِهِ . وَلَقَدْ هَمَمْتُ مِرَارًا
بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِي وَرَمِيهَا حَتَّى لَا أَتَعِبَ نَفْسِي بِهَا كُلَّ يَوْمٍ
مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ . » فَقَالَتْ لَهُ : « عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى
وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِذْرَاكَ النَّجَاحِ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى
قَضَائِ اللَّهِ . وَيَجِبُ عَلَيْكَ يَا أَبَتِي أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى لُطْفِهِ
بِكَ فَقَدْ عَظَفَ عَلَيْكَ قَلْبَ هَذَا الْخُبَارِ الْمُحْسِنِ فِي أَيَّامِ
الضِّيقِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ ، وَالْفَرَجُ
بَعْدَ الضِّيقِ ، وَمَنْ يَذَرِي ؟ فَلَعَلَّ هَذَا الْيَوْمَ يَكُونُ خَاتِمَةَ

أَيَّامِ النَّحْسِ وَفَاتِحَةِ أَيَّامِ الْيُسْرِ وَالْفَرَجِ .

٦ - جُثَّةُ الْحِمَارِ

نَخَرَجَ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَّادُ » مِنْ بَيْتِهِ - وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ -
بِمَا قَالَتْهُ ابْنَتُهُ لَهُ - وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ أَلْقَى شَبَكَتَهُ
فِيهِ ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلًا ثُمَّ جَذَبَهَا فَوَجَدَهَا ثَقِيلَةً جَدًّا ،
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَا شَكَّ أَنَّ أَيَّامَ النَّحْسِ قَدْ انْقَضَتْ ، وَجَاءَ
وَقْتُ الْفَرَجِ . » ثُمَّ جَذَبَ الشَّبَكَةَ بِقُوَّةٍ حَتَّى أَخْرَجَهَا
- بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ - فَوَجَدَ فِيهَا جُثَّةَ حِمَارٍ مَيِّتٍ ،
فَانْقَلَبَ فَرَحُهُ وَسُرُورُهُ حُزْنًا وَغَمًّا ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
« لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ الشَّقَاءُ وَالنَّحْسُ ، وَمَا أَحْسَبُنِي أَصْطَادُ
شَيْئًا بَعْدَ الْيَوْمِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ الْبُؤْسِ
وَأَوَّلُ أَيَّامِ الْفَرَجِ ، فَإِذَا بِهِ أَشَدُّ الْأَيَّامِ نَحْسًا ، فَإِنِّي لَمْ
أُصْطَدْ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا مِثْلَ هَذَا الْحِمَارِ الْمَيِّتِ الَّذِي كَادَتْ
تُهْلِكُنِي رَائِحَتُهُ الْكَرِيهَةُ . » وَهَمَّ بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ
وَرَمْيِهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ يَائِسًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَلَكِنَّهُ

ذَكَرَ نَصِيحَةَ ابْنَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الشِّتَاءَ إِذَا أَشْتَدَّ بَرْدُهُ
 الْقَارِسُ جَاءَ بَعْدَهُ الرَّيِّعُ الْبَهِيحُ ، وَأَنَّ الصَّيْفَ إِذَا أَشْتَدَّ
 حَرُّهُ اللَّافِحُ جَاءَ بَعْدَهُ الْخَرِيفُ الْجَمِيلُ ، وَأَنَّ الْبُؤْسَ إِذَا
 أَشْتَدَّ وَاسْتَحْكَمَ أَعْقَبَهُ الْفَرَجُ . فَصَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ ،
 وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَّتِهِ جُثَّةَ الْحِمَارِ الْمَيْتِ وَرَمَاهَا ، ثُمَّ نَظَّفَ
 الشَّبَكَةَ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْرِ يَتَلَسَّسُ رِزْقَهُ فِيهِ .

٧ - عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ

ثُمَّ أَلْقَى الصِّيَادُ شَبَكَّتَهُ فِي الْبَحْرِ - بَعْدَ أَنْ دَعَا اللَّهَ أَنْ
 يُيسِّرَ لَهُ - وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ثُمَّ جَذَبَهَا فَرَأَاهَا ثَقِيلَةً
 جِدًّا ، فَظَلَّ يَجْذِبُهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ حَتَّى أَخْرَجَهَا فَوَجَدَ فِيهَا
 رَجُلًا عَجِيبَ الْخَلْقَةِ ، غَرِيبَ الشَّكْلِ جِسْمُهُ جِسْمُ إِنْسَانٍ
 وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ السَّمَكِ ، فَخَافَ الصِّيَادُ عَلَى نَفْسِهِ
 وَظَنَّهُ عَفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ
 وَأَرَادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ نَادَاهُ
 مُتَلَطِّفًا ، وَقَالَ لَهُ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ : « لَا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ



فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبْرَ نَدَاهُ أَسْرِعْ إِلَيْهِ وَهُوَ
فَرَحَانٌ بِقُدُومِهِ .

« اطرص ١٧ »

١٣
مَنْى يَا صَاحِبِى فَأَنَا إِنْسَانٌ مِثْلَكَ وَلَسْتُ عُفْرِيتًا كَمَا تَظُنُّ
وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ - كَمَا تَعْبُدُهُ - وَإِنَّمَا أَنْتَ إِنْسَانٌ بَرٌّ تُعِيشُ
فِي الْبَرِّ وَأَنَا إِنْسَانٌ بَحْرِيٌّ أُعِيشُ فِي الْبَحْرِ . فَأَطْمَآنِ
الصَّيَادُ حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ وَزَالَ عَنْهُ الْخَوْفُ .

٨ - الْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ « عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ » عَنْ أَسْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
« أَسْمِ عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ » ، فَمَا أَسْمَكَ أَنْتَ ؟ ، فَقَالَ لَهُ :
« أَسْمِ عَبْدُ اللَّهِ الصَّيَادُ » فَقَالَ لَهُ : « أَنْتَ تَعِيشُ فِي الْبَرِّ
فَأَنَا أَسْمِيكَ مِنَ الْيَوْمِ عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ وَسَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ
مِنْ هَذَا الْيَوْمِ وَنُحْلِفُ عَلَى الْوَفَاءِ جَمِيعًا وَنَلْتَقِي فِي صَبَاحِ
كُلِّ يَوْمٍ فَتُحْضِرُنِي أَنْتَ مَا تَخْتَارُهُ مِنْ فَوَاكِهِ الْبَرِّ وَأُعْطِيكَ
مَا يُحِبُّهُ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ » فَفَرِحَ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ »
بِذَلِكَ وَأَعَادَهُ إِلَى الْبَحْرِ ، فَغَابَ عَنْهُ مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَمْ يُعَدْ .
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَقَدْ خَدَعَنِي هَذَا الرَّجُلُ وَلَوْ أَنَّنِي أَخَذْتُهُ
مَعِيَ وَعَرَضْتُهُ فِي السُّوقِ لَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هَيْئَتِهِ الْغَرِيبَةِ
فَجَمَعَتْ مِنْهُمْ مَا لَا كَثِيرًا » وَبَيْنَمَا هُوَ يَنَاسِفُ عَلَى ضِيَاعِ هَذِهِ

الْفُرْصَةَ النَّادِرَةَ إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» وَيَدَاهُ
مَمْلُوءَتَانِ بِالْمَنَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ وَالْمَرْجَانِ. فَفَرِحَ
بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَعَرَفَ صَدَقَهُ فِيمَا قَالَ، ثُمَّ وَدَّعَهُ
بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِإِحْضَارِ سَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ فِي الْيَوْمِ
الْتَّالِي فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ: «إِذَا لَمْ تَجِدْنِي فَنَادِنِي بِاسْمِي
لَأُخْرِجَ إِلَيْكَ تَوًّا» وَأَنْصَرَفَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ». وَهُوَ
فَرِحَانٌ بِمَا نَالَ مِنْ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ عُمُرِهِ.

٩ - وَفَاءُ الدِّينِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِهِ الْخُبَّازِ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى دُكَّانِهِ
وَنَادَاهُ وَقَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخُبَّازِ مَا مَعَهُ مِنَ اللَّالِيَّةِ
بِالسَّوِيَّةِ، فَفَرِحَ الْخُبَّازُ بِهَذِهِ الثَّرْوَةِ الْعَظِيمَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ
وَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ، وَحَمَلَ إِلَى بَيْتِهِ كُلَّ مَا فِي دُكَّانِهِ مِنَ
الْخُبْزِ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ. وَذَهَبَ «عَبْدُ اللَّهِ
الْبَرِّيُّ» إِلَى السُّوقِ فَاشْتَرَى مِنْ أَطَايِبِ الْمَنَآكِلِ وَالْفَاكِهَةِ
وَالْحَلْوَى شَبْنًا كَثِيرًا جَدًّا وَعَادَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ
وَفَرِحَتِ «أَمِينَةُ» وَإِخْوَتُهَا بِمَا نَالَ أَبُوهُمُ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ

١٠ - بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَذَهَبَ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ» صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى صَدِيقِهِ
«عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْرِيِّ» وَمَعَهُ مِشْنَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْيَبِ الْفَاكِهَةِ.



وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ نَادَى : « يَا عَبْدَ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ »
فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَحْضَرَهُ مِنْ الْفَاكِهَةِ،
وَمَلَأَ لَهُ الْمِشْنَةَ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ وَنَفَائِيسِهِ ، فَذَهَبَ بِهَا
إِلَى الْبَيْتِ وَأَخَذَ مِنْهَا بَعْضَ اللَّالِيءِ لِيَبْعَهَا فِي السُّوقِ فَلَمَّا

رَأَى الْجَوْهَرِيُّ مَا مَعَهُ ظَنَّ أَنَّهُ سَارِقٌ فَنَادَى رِجَالَ
 الشَّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ - بَعْدَ أَنْ
 أَهَانُوهُ وَضَرَبُوهُ - فَسَأَلَ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « مِنْ أَيْنَ
 أَحْضَرْتَ هَذِهِ النَّفَائِسَ ؟ » . فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّهَا
 فَوَاسَاهُ الْمَلِكُ وَوَجَّحَ الْجَوْهَرِيَّ وَرِجَالَ الشَّرْطَةِ وَعَاقِبَهُمْ
 عَلَى فِعْلِهِمْ وَرَأَى مَا أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ وَوَفَرَةِ عَقْلِهِ
 فَقَالَ لَهُ : « إِنَّ الْمَالَ يَا وَلَدِي يَحْتَاجُ إِلَى الْجَاهِ لِيَنْحِمِيهِ
 مِنْ أَذَى السُّفَهَاءِ وَالْأَشْرَارِ ، وَسَأُزَوِّجُكَ مِنْ ابْنَتِي
 وَأَجْعَلُكَ وَزِيرِي فَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى إِذَاثِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ .

١١ - وَفَاءُ الصَّدِيقَيْنِ

وَأَصْبَحَ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّي » مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَزِيرَ
 الْمَلِكِ وَصَهْرَهُ وَنَقَلَ أَوْلَادَهُ إِلَى الْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ
 مُكْرَّمِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَدِيقَهُ « عَبْدُ اللَّهِ الْخَبَّازَ »
 الَّذِي وَاسَاهُ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ، فَذَهَبَ إِلَى مَخْبِزِهِ فَرَأَاهُ
 مُغْلَقًا ، فَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ بَيْتِهِ حَتَّى أَهْتَدَى إِلَيْهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ

مَرِيضٌ ، فَنَادَاهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْخُبَارُ نِدَاءَهُ أُسْرِعَ إِلَيْهِ
وَعَانَقَهُ - وَهُوَ فَرِحَانٌ بِقُدُومِهِ - فَسَأَلَهُ « لِمَ إِذَا أُغْلِقْتَ
دُكَّانَكَ ؟ » فَقَالَ لَهُ : « عَلِمْتُ مَا لِحَقِّ بِكَ مِنَ الْإِهَانَةِ
فَتَلَمَّتْ لِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَلَمِ ، وَمَرَضْتُ بِسَبَبِ حُزْنِي عَلَيْكَ »
فَشَكَرَهُ عَلَى وِفَائِهِ لَهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَّثَ لَهُ وَزَوْجَهُ مِنْ
ابْنَتِهِ « أَمِينَةٍ » وَقَدَّمَهُ إِلَى الْمَلِكِ وَذَكَرَ لَهُ وِفَاءَهُ
وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِوَفَائِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَجَعَلَ
« عَبْدَ اللَّهِ الْخُبَارَ » وَزِيرًا مَعَ صَهِرِهِ « عَبْدَ اللَّهِ الْبَرِّيَّ » .

١٢ - عَجَائِبُ الْبَحْرِ

وَكَانَ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ » يَذْهَبُ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى صَدِيقِهِ
« الْبَحْرِيِّ » بِمِشْنَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ وَيَعُودُ بِهَا مَمْلُوءَةً
بِالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ . وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ فَدَعَا



« الْبَحْرِيُّ »
صَدِيقَهُ
الْبَرِّيَّ لِيُرِيَهُ
عَجَائِبَ

الْبَحْرِ ، نَفَّلَعَ مَلَابِسَهُ ، وَدَهَنَ جِسْمَهُ بِمَرْتَهَمٍ عَجِيبٍ
 أَحْضَرَهُ لَهُ حَتَّى لَا يُؤْذِيَهُ الْمَاءُ . ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُ فِي قَرَارِ
 الْبَحْرِ ، وَرَأَى مَا يَحْوِيهِ الْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ وَمِنْ سَمَكٍ مُخْتَلِفٍ



الْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ ، مِنْهُ مَا يُشَبِّهُ - فِي خَلْقَتِهِ - الْجَامُوسَ
 وَالْبَقَرَ ، وَمِنْهُ مَا يُشَبِّهُ الْكِلَابَ وَمِنْهُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَبْتَلِعَ الْجَمَلَ أَوْ الْفِيلَ ، وَلَكِنَّهُ يَنْفِرُ مِنَ الْإِنْسَانِ
 وَيَهْرُبُ مِنْهُ إِذَا رَأَاهُ . وَكَانَ يَرَى - كُلَّ يَوْمٍ - عَجَائِبَ
 وَغَرَائِبَ لَا تُوصَفُ

١٣ - كَذِبَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِّيِّ

وَكَانَ يَأْكُلُ - كَمَا يَأْكُلُ صَدِيقُهُ «عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ» -
 سَمَكًا نَيْثًا فَسَيِّمَتْ نَفْسُهُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى
 الْبَرِّ، فَذَهَبَ بِهِ صَدِيقُهُ إِلَى بَيْتِهِ - وَهُوَ كَهْفٌ فِي فَرَارِ
 الْبَحْرِ - وَأَرَاهُ



أَوْلَادَهُ وَهُمْ
 يُشَبِّهُونَهُ فِي
 الْخَلْقَةِ، فَعَجِبَ
 مِنْ أَذْنَابِهِمْ
 وَعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ
 رَأَوْهُ بِلَا ذَنْبٍ.
 وَسَالُوا آبَاءَهُمْ:

«مَنْ هَذَا الْأَبْتَرُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ سُكَّانَ الْبَرِّ لَيْسَ
 لَهُمْ أَذْنَابٌ» فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَتَنَبَّأَهُمْ جَالِسُونَ إِذْ جَاءَهُمْ
 رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرَانِ «عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْرِيِّ» يَغْرِضُ عَلَى
 سَيْفِهِ أَنْ يَزُورَهُ فِي بَيْتِهِ. فَقَالَ الْبَرِّيُّ لِلْبَحْرِيِّ: «لَقَدْ سَيِّمَتْ

نَفْسِي الْبَقَاءَ فِي الْبَحْرِ وَلَا أُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى جَارِكَ ، فَقُلْ
لِرَسُولِهِ « إِنِّي قَدْ عُدْتُ إِلَى الْبَرِّ أَمْسٍ » فَصَاحَ « عَبْدُ اللَّهِ
الْبَحْرِيُّ » غَاضِبًا : « أَنْتَ تَكْذِبُ وَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكْذِبَ ؟
إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَكْذِبُ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَنْ أَصَاحِبَكَ بَعْدَ
الْيَوْمِ » وَصَاحَ أَوْلَادُهُ : « هَذَا عَجِيبٌ ! هَذَا رَجُلٌ
يَكْذِبُ وَمَا سَمِعْنَا طُولَ عُمُرِنَا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ » فَجَلَّ
« عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِيُّ » أَشَدَّ الْحَجَلَ ، وَعَادَ بِهِ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَحْرِيُّ »
إِلَى الْبَرِّ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

١٤ - خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَعَادَ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِيُّ » إِلَى بَيْتِهِ فَسَأَلَ الْمَلِكُ عَنْ
سَبَبِ غَيْبَتِهِ فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ
أَشَدَّ الْعَجَبِ .

ثُمَّ عَاشَ « عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِيُّ » مَعَ زَوْجِيهِ وَأَوْلَادِهِ
مَسْرُورِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كَذِبَتَهُ ، وَكَانَ يَخْجَلُ
كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَشَدَّ الْحَجَلَ .